دفاتر المجلس
13

سلسلة منشورات الجيب

من وقائع حوار الأفكار

الصلح في المجتمع الجزائري
منطقة القبائل نموذجا

الأستاذ : محمد أرزقي فراد

سبتمبر 2005

كلمة رئيس المجلـــــــــــــــــس
الدكتور محمد العربي ولد خليفة
في افتتاح المحاضرة " الصلح في المجتمـــــع الجزائري" للأستاذ الباحث محمد أرزقي فراد.

باسم الله الرحمان الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه إلى يوم الدين،

معالي سيد رئيس الحكومة الأسبق ،

معالي السادة الوزراء، الأساتذة الكرام

يسعد المجلس الأعلى للغة العربية أن يرحب بكم في هذه المحاضرة التي يفتتح بها موسمه الجديد 2005-2006 : "منبر حوار الأفكار" المخصص لتبادل الآراء ووجهات النظر في عدد من القضايا التي تشغل الرأي العام ومن بينها قيم الصلح والتسامح في مجتمعنا وأشكال ممارسته.

تمثل قضية الصلح والتسامح جزءا من التقاليد الثقافة الجزائرية، تلتقي في تراث كبير وتتنوع وتتمايز بخصوصيات في كل منطقة، يمكن اعتبارها قديمة- جديدة في نفس الوقت، ولا شك أنها ترجع في كثير من قيمها إلى ديننا الحنيف الذي أزال الكثير من العادات السلبية، ووحد أمما وشعوبا كثيرة مختلفة في أعراقها وفي ألسنتها ومواطنها، من أقاصي آسيا إلى أعماق إفريقيا و أوروبا.

يقدم السيد **محمد أرزقي فراد** محاضرة تفتتح هذه السلسلة من نشاطات " **منبر حوار الأفكار**" عن الصلح ويقدم نماذج من ثقافة الصلح وخاصة في المنطقة التي أطلع على ثقافتها أكثر وهي منطقة القبائل الكبرى أو منطقة الزواوة.

إن الأستاذ **محمد أرزقي فراد** من الشخصيات الثقافية النشيطة على الساحة الوطنية، له صولات وجولات سواء في العمل البرلماني حيث كان نائبا، ولكني أعرف أنه يعتز كذلك بنشاطه وأبحاثه ومؤلفاته التي تتضمن محاولات جدية لتأصيل البحث في علوم الاجتماع بدون التسليم بكثير من الدس والغش الذي قام به علماء ما يسمى لاندجينيفيلي أو التخريب بواسطة الدسائس أو التعلمن Scienticitéالذي

يقدم الكثير من المغلطات في صور حقائق علمية لخدمة الهيمنة الكولونيالية عن طريق سياسات فرّق تسد.

إن الجزائر بلد وحّده التاريخ والثقافة والنضال من أجل الحرية والحق والعدالة، وقد برهن الجزائريون على تلاحمهم وتكاتفهم ذلك في تاريخها القريب إبان حرب التحرير والثورة الجزائرية التي جعلت كل منطقة تتساوى في أهميتها مع أي منطقة أخرى .

الأستاذ **محند أرزقي فراد** له مِؤلفات في الثقافة وفي مشاهير المثقفين في منطقة زواوة وله اهتمام بالتنوع الثقافي مثل دراساته عن منطقة شرشال، ونشر العديد من الأبحاث والدراسات في الجرائد والمجلات، وهو يواصل البحث العلمي الحر، ويمكن اعتباره نموذجا للباحث المجتهد لا ينقاد إلى الشعارات البراقة ولا يستهويه التبسيط.

يرأس هذه الجلسة ويدير الحوار في هذا المنبر المفتوح الأستاذ الصديق **محمد الطاهر زرهوني** .

الصلح في المجتمع الجزائري،

" منطقة القبائل نموذجا "

للأستاذ: محمد أرزقي فراد

سبتمبر 2005

يعتبر الصلح في المجتمع الجزائري قيمة اجتماعية أساسية وظّفها الأجداد لحلّ تناقضات المجتمع، الناجمة عن تضارب مصالح الفئات والطبقات المختلفة، وهذا بعد أن تأكدوا بالتجربة من إفلاس منطق المجابهة المنجب للأحقاد والبغضاء والدمار.

كانت ثقافة الصلح منتشرة في المجتمع الجزائري انتشارا واسعا، بفضل قيم الإسلام الداعية إلى احترام الإنسان في كرامته وإلى بناء مجتمع متماسك يحل مشاكله ويعالجها بتفعيل مبادئ التراحم والتسامح، ومما تجدر الإشارة إليه أن مجتمعنا كان ريفيا في مجمله مثلما أكد الدكتور عدي الهواري في كتابه: (الاستعمار الفرنسي في الجزائر، سياسة التفكيك الاقتصادي والاجتماعي (*1830-1960*)). فباستثناء بعض الحواضر التي ظهرت فيها كيانات سياسية في أحقاب زمنية مختلفة، أشرفت على الشؤون القضائية مثل تلمسان ومعسكر وتيارت والجزائر وبجاية وقسنطينة وعنابة، فإن عمق الجزائر قد تكيف مع ظاهرة غياب حكم مركزي قوي وذلك بتعويض غياب السلطة القضائية بتفعيل آلية حكم الجماعة التي كانت ضرورية لتوطيد توازن المجتمع ولتلافي انهيار القيم والأخلاق، خاصة بعد سقوط الدولة الموحدية ثم ضعف الدولة الزيانية، وانشغال الأمراء المحليين بالتناحر السياسي وكذا توجيه جهود الدولة خلال العهد العثماني نحو الغزو البحري. ثم أخيرا

وقوع الجزائر في براثن الاستعمار. وهكذا فالحاجة الماسة إلى سد الفراغ القضائي قد حركت المجتمع نحو إيجاد البديل للسلطة القضائية الغائبة بغياب دولة وطنية مركزية كما ذكرنا.

ولعل أهم عمل فكري أثار قضية "حكم الجماعة" ودعا إلى تجديدها هو كتاب (جماعة المسلمين) للشيخ أبي يعلى الزواوي، ومما جاء في مقدمته قوله "هذا وأنني قد كتبت رسالة مطولة في شأن جماعة المسلمين ومعناها في فقهنا المالكي وفي أصلها من الأحاديث الصحيحة فسميتها كذلك " جماعة المسلمين " فاختصرتها ولخصتها كما ترون أما بعد فيا إخواني المسلمين في العالم كافة، وفي الجزائر وطني خاصة، فإنني أحمد (إليكم) الله الذي لا إله إلا هو على هذا الدين الذي هدانا إليه" إلى أن قال "**... كيف لا وفي موضوع جماعة المسلمين التي هي آخر منزع بقي في قوس أهل الإسلام بعد سقوط الخلافة وتوقفها، وفقدان شروط القضاء.**

وهكذا أكد لنا الشيخ أبويعلى الزواوي أن مفهوم الصلح قد ظهر أصلا في المجتمع الجزائري بسبب تعطل القضاء الناجم عن غياب سلطة سياسة مركزية، ثم بسبب وقوع الوطن تحت نير الاستعمار.

وبالنظر إلى شساعة مساحة الجزائر فقد تنوعت آليات ثقافة الصلح حسب خصوصيات كل منطقة، فهناك مجلس العزابة في غرداية الذي يتكفل بتسيير حياة السكان بعد انهيار الدولة الرستمية كما أسندت مهمة الصلح في بعض المناطق لأعيان الأعراش، ولممثلي الزوايا التي كانت تمثل المرجعية الروحية في مناطق أخرى.

هذا فقد وقع اختياري على منطقة القبائل كنموذج لمفهوم الصلح باعتبارها جزءا هاما من المجتمع الجزائري يتناغم دائما مع جهات الوطن الأخرى في السراء والضراء إلى درجة التماهي، ولعل أبرز شهادة على تلاحم منطقة القبائل بباقي الوطن، ما نقله الأستاذ مصطفى الأشرف في كتابه (الجزائر: المجتمع والأمة) من شهادة الفرنسي المسمى (كلاماجيران *CLAMAGERAN*) جاء فيها قوله: (عندما كانت المجاعة تودي بحياة السكان العرب في الشتاء الرهيب الذي عرفته البلاد في

1867 و *1868* م، التجأ الألوف من المشردين الهائمين إلى منطقة القبائل والكثير منهم لقوا حتفهم في الطريق نتيجة لما عانوه من عذاب، ولكن أهالي المنطقة عاملوهم جميعا بالحسنى وأسعفوهم بالأدوية وهكذا فلم يمت أحد منهم جوعا بمنطقة القبائل. ص *16*).

غير أن موقعها الجغرافي قد أضفى على تجربتها في مجال الصلح مسحة خصوصية، وبالإضافة إلى إلمامي بتاريخ المنطقة قد شجعني على اختيارها كنموذج لموضوع الصلح في المجتمع الجزائري.

وتعدّ منطقة القبائل من المناطق الرائدة في مجال تفعيل الصّلح، لما تتميّز به من تنظيم محكم تجلّى في نظام "ثاجماعث" الموروث عن الأجداد منذ غابر الأزمان. ومما لا شكّ فيه أن عوامل عدّة (جغرافية وتاريخية واجتماعية وسياسية) قد تضافرت عبر التاريخ لميلاد تنظيم ثاجماعث بهدف التكفّل بتسيير القرى بما يشبه "دولة المدينة" اليونانية وهذا في غياب الدّولة المركزيّة في هذه المنطقة في معظم الحقب التاريخيّة.

تتكوّن ثاجماعث (لجنة القرية اليوم) من "لمين" مسؤول القرية الذي ينتخب لمدّة زمنيّة معلومة ومن "طمّان" – مسؤولو الحارات – مفرده "طامن"، ومن إمام القرية، وكذا جميع سكان القرية من الذكور الذين بلغوا سنّ الرّشد. وقد يحدث أن يتّسع "نظام ثاجماعث" لأكثر من قرية لاعتبارات صلة القرابة أو لصغر حجم التجمعات السكانية (تيخليجين)، ولها مجلس العقلاء ينظر ويشرف على شؤون القرية. وتعقد ثاجماعث إجتماعاتها العادية أسبوعيا أيام الجمعة للنظر في شؤون الأمن والتعاون والتضامن والنظافة والتربية والتعليم وغيرها من القضايا.

ومن أهمّ آليات أعمالها القوانين المستمدّة من العرف (عادات وتقاليد ضاربة بجذورها في أعماق التاريخ) ومن الشريعة الإسلامية (سيدي الخليل) في مجالات المعاملات والعبادات، بهدف الحفاظ على توازن المجتمع، فتعاقب المنحرفين عن قيم الاستقامة بغرامات مختلفة تكون بحجم وطبيعة المخالفة (السرقة، إلحاق أضرار بأملاك الغير، السباب والشتم، شرب الخمر، التخاصم، الوقوف في منابع المياه في

الأوقات المخصّصة للنساء، وغيرها...) وأقصى درجات العقوبات هي عزل مرتكب المخالفة في السراء والضراء حتى يعود إلى "تسوفيق أتادارث" أي قانون القرية.

ومما تجدر الإشارة إليه أن قيمة التضامن تتجسّد بصفة خاصّة فيما يسمّى "ثيويزِي" أي التطوّع الذي يسع مجالات عدّة كالبناء والحصاد وجمع الزيتون، والحرث وغيرها. فمثلا عندما تكون المرأة في مرحلة النِّفاس زمن جني الزّيتون تتطوّع نساء القرية لجمع الغلّة حتى لا تضيع. كما تتجلّى قيمة الكرم في "ثِينُوبْقَة" أي الضّيافة التي يستفيد منها الأقارب والأباعد خاصة عابر السبيل الذي يعد "إِنَبْقِى رَبِّي" ضيف الله.

ومن أبرز القيم الأخرى الفاعلة في المجتمع في منطقة القبائل "لَعْنَايَة" أي حماية المستجير التي تدل دلالة واضحة على كرامة الإنسان التي يجب أن تصان ويعتبر مانح الحماية في العُرف القبائلي شَهيدا إلى أن تنقضي مدّة الحماية، (وِينْ أَرَا يَفْكَنْ لَعْنَايَا مَحْسُوبْ ذَلْمِيَّتْ أَلاَمَا إسَوَضْ لَعْنَايَاسْ) وهي ملزمة للقرية والعرش أحيانا.

الرقبة بين ذهنيّة الثأر وثقافة الصلح

تعتبر جريمة القتل (ثَامُوقْرَطْ) من أخطر القضايا التي واجهت المجتمع في منطقة القبائل قديما، وكانت ذهنيّة الثأر هي السّائدة قبل الفتح الإسلامي وبعده بشكل أقلّ، على غرار ما كان يجري في حوض البحر الأبيض المتوسّط، فالقتل يستوجب القتل وفق مبدأ الرقبة بالرقبة، وغسل الدّم بالدّم (ثَامُوقْرَطْ أَسْثْمُوقْرَطْ، ثَرْذَا إذَا مَنْ أَسْوِيَضْ) والأخطر من ذلك أنها تُتَوارثُ، فقد يحدث أن يترك المقتول طفلا أو رضيعا أو جنينا في رحم أمّه، وعندما يصل إلى سنّ الرّشد فإنّ المهمّة التي تضعها الأمّ على عاتقه هي الأخذ بالثّأر، وهكذا دواليك حتى صارت دوامة العنف حلقة مغلقة تحوط بالمنطقة ولا يستطيع أهلها الفكاك منها، وإذا مات المقتول كِلاَلَةً أي دون أن يعقّب ولدًا يصبح الثأر ملزما للأقربين، وعندما تعجز عائلة الضحيّة عن الأخذ بالثّأر لسبب أو لآخر، فإنّها تلتجئ إلى تكليف شخص قاتل لإنجاز المهمّة

مقابل مال معلوم، وللذكر فقد صار هؤلاء القتلة المحترفون واقعا إجتماعيا، يعرضون خدماتهم في الأسواق الأسبوعية.

وعندما ينجز القاتل المهمة يقوم بجرّد المقتول بن برنوسه المخضب بالدماء ليسلمه لمدبر القتل (صاحب الثأر) كبيّنة على إنجاز المهمة، ثم يقوم هذا الأخير بإطلاق عيارات نارية معلنا لأفراد عائلته (ثاخروبث) إتمام مهمة الأخذ بالثأر.

ومما لا شكّ فيه أن "ذهنية الثأر" قد ولّدت أحقادا وبغضاء حوّلت حياة الناس إلى جحيم لا يطاق، فغابت السكينة وحلّ الاضطراب محلها، فصارت الحياة ألوانًا من الموت والرعب والهلع والهروب والنفي وفقدان الأمل، وفي هذا الجوّ المشحون بالتوتّر صارت البندقية (الفوشي) من ضروريات الحياة وجمال الإبداع، فخلّدها الشعراء في مختلف أغراضهم الشعريّة. ومن آثار ذلك أنّ الأغنية القبائلية المعاصرة مازالت توظفها كأداة من أدوات الصور البلاغية، وهو الأمر الذي يعدّ تأكيدًا ولو بطريقة غير مباشرة لتواجد ظاهرة العنف في الأزمان الغابرة، ولعلّ أبرز الأمثلة على ذلك ما ورد في أغاني الحكيم لونيس آيت منقلات كقوله في البندقيّة:

– زِيغَنْ أَيْسَرْكَانْسْ وِينْ تِسي بِينْ

– جَبْذَغْ أَزْنَذْ يَفْرُورِي.

ومعناه:

– لم يصنها حاملها

– ضغطت على الزناد ...فتفتت

وكذا قول المغنّي معطوب ألوتّاس

كُلْ ثِيزِي ثَحْوَاجْ أَعْبَارْ

نَكْ البارود يَكْفَايِي

ومعناه:

– كلّ ربوة تحتاج إلى رصاصة

– والذّخيرة عندي نفدت

تلكم هيّ الفكرة العامة عن ذهنيّة الثأر، ودَين الرقبة (أَرَطَّالْ أَتْمُوقرَاطْ) التي أنجبت الدّمار والخراب والأحقاد.

ويعدّ وصول الفتح الإسلامي إلى ربوع وطننا بمثابة الفرج الذي أنقذ المجتمع من أتون الاقتتال وذلك بحقن العُرف القبائلي بقيم التّسامح والرّحمة والرّأفة والحلم والرفق، وكان وصول المرابطين الأشراف إلى منطقة القبائل فاتحة عهد جديد، عهد الصّلح والمصالحة وإصلاح ذات البيّن بين الخصوم بالتي هي أحسن.

وبفضل هذه الثّقافة الرحيمة عاد الاستقرار وازدهر العمران واطمأنّت النّفوس، فأقبل النّاس على المدارس القرآنيّة والمجالس العلميّة، كما انتعشت الزّراعة والتّجارة. هذا وقد أسهب الكاتب عمار بوليفة المتوفى سنة *1931* في كتابه الصّادر سنة *1925*م بعنوان: *Le Djurdjura à travers l'histoire* في التّنويه بمآثر المرابطين الأشراف الذين أسّسوا ثقافة الصّلح بهذه المنطقة، فذكر أنّ منطقة القبائل كانت تعيش في فوضى عارمة وصراعات داخليّة أدّت إلى اضطراب حبل الأمن، وأنهكت الأهالي حتّى صار النّاس يخشون على أرواحهم وأرزاقهم، وقد زادتهم الإمارات المستبدّة تدهورًا بما فرضته عليهم من ضرائب فادحة أثقلت كواهل الفلاحين، فسئم الجميع من الأمراء المغامرين الذين كانوا يذكون نار الفتنة بتكريس ذهنيّة الثّأر والانتقام التي عادت على أجيال عديدة بالخراب خاصّة خلال عهد الإمارتين، آث عباس بالقبائل الصغرى، وآث القاضي بالقبائل الكبرى، كل ذلك جعل الأهالي يرحبون بالمرابطين الذين كانوا–برأي الكاتب– بمثابة المنقذين للمجتمع، بفضل سيرتهم المطبوعة بالحكمة والرّزانة ومآثرهم المبنيّة على إحقاق الحق وإزهاق الباطل بتجسيد العدل والدّفاع عن الضّعفاء والزّهد في الدّنيا ونشر الصّلح والرّحمة، لذلك ألقى السّلم بظلاله على المنطقة، فعمّ الوئام بين النّاس، ثمّ خلُص سي عمار بوليفة إلى القول: [...إنّه بفضل هذه الرّوح الجديدة تحسّنت العائلة الأمازيغية، ودعم نظام القرية، واسترجعت القبيلة حيويّتها ممّا ساعدها على التطوّر، كما ساد النّظام والازدهار تحت لوائهم، فسكن السّلم في المنطقة وفي القلوب، كلّ ذلك جعل سكّان

منطقة القبائل الذين عانوا من ويلات الحروب، يعتبرون مآثر المرابطين بمثابة بركة إلهيّة] ليضيف قائلا: [... وهكذا صارت كلّ قبيلة وكلّ قرية تعتبر وجود شخصيّة أو عائلة مرابطيّة في أرضها شرفًا ومجدًا تفتخر بهما، وتتبرّك بهما الأجيال المستقبليّة لحماية قراها وأراضيها] (ص *132*).

وهكذا فالشّخص المرابط هو المؤهل للقيام بدور القاضي. وللذكر فإنّ أمر الخلاف قد يعرض على أكثر من قاضٍ في حالة عدم اقتناع أحد طرفي النّزاع بالحلّ المقترح.

وإذا حدث أن أقرّ القاضي الثاني الحل المقترح من قبل سالفه، يصبح إجباريًّا. وفي حالة تقديم القاضي الثاني لحلّ غير موفّق، تعرض القضيّة على طرف ثالث، وفي حالة استمرار الخلاف، تعرض القضيّة على مجلس ثاجماعث الذي يحقّ له أن يختار أحد الحلول الثلاثة المقترحة سالفا، أو يكلّف شخصا آخر للنظر في القضيّة. ومهما يكن من أمر فإن قرار مجلس ثاجماعث غير قابل للاستئناف. أمّا القضايا الخطيرة فإنّها تعرض مباشرة على مجلس الحكماء (العُقال) الذي يستدعي طرفي أو أطراف النّزاع عن طريق مسؤولي الحارات (طَمَّانْ مفرده طَامنْ). وفي حالة عدم استجابة المدعى عليه لاستدعاء جماعة الحكماء بدون مبرّر، تحدّد له ثاجماعث موعدًا آخر مع فرض غرامة مالية معلومة عليه (الحق) ومن حق المدعى عليه أن يُفوّض وكيلا عنه في حالة وجود مبرّر مقنع.

وبالنّسبة لمداولات ثاجماعث فإنّ "لمين تادارث" أي مسؤول القرية هو الذي يترأس الاجتماع بحضور إمام القرية الذي يحرص على أن تكون المداولات وفق فقه سيدي خليل في القضايا المتعلّقة بالمعاملات كما أنّه يتولّى (أي الإمام) فتح المداولة بما تيسّر من القرآن مع الدعاء بأن يكون موفّق بإذن الله.

ثمّ تعطى الكلمة "لِلعُقّالْ" أي الحكماء الذين يسيرون عادة على نهج الإمام، بدعوة الفرقاء إلى التراحم والتوادد والتسامح.

هذا ويحرص "لاَمينْ" مسؤول القرية على تطبيق النّظام واحترام الانضباط أشدّ الحرص بالسّهر على توزيع الكلمة بالعدل والإنصاف دون إقصاء لأيّ كان،

وبالتّناوب مع إلزام الحاضرين بضرورة التزام الهدوء والرّزانة عند تناول الكلمة، ومن خالف ذلك يعاقب بغرامة مالية معلومة، كما أنّه يعطي الوقت الكافي لطرفي النّزاع لعرض وجهات نظرهم في القضيّة بصراحة تامّة تسلّط جميع الأضواء على كلّ زوايا الخلاف، وعقب ذلك تفتح المناقشة التي يثريها الجميع من مسؤول القرية والإمام والحكماء والشهود، وكلّ من يملك رأيا سديدًا من شأنه أن يساعد على إيجاد الحلّ.

وفي الأخير يفصل في أمر النّزاع بتبني رأي الأغلبيّة. وممّا تجدر الإشارة إليه أن (الطامن) مسؤول الحارة عادة ما يؤدّي دورا رائدا من أجل إقناع المدعى عليه من أجل الانصياع لقرار ثاجماعث (الجماعة).

هذا وقد يحدث أن ينفضّ الاجتماع دون الوصول إلى حل يرضي طرفي النّزاع، وفي هذه الحالة يؤجّل أمر الخلاف إلى اجتماع آخر، أو قد يعرض على لجنة حكماء محايدة من خارج القرية (ثَاقَايْث إِمْرَابْظَنْ) ومما تجدر الإشارة إليه أن المرأة لا تحضر المداولات، وعندما تكون طرفا في النّزاع ينوب عنها الوصيّ

إنّ أهمّ ما يميّز القانون العرفي قوته الردعية المتمثلة في تغريم المخطئ، وتتنوّع مبالغ الغرامة حسب طبيعة الجنحة والجرم، وتدفع لحساب ثاجماعث، أمّا التّعويض عن الخسارة فإنّها تدرس أثناء جلسة الصّلح، إمّا بالّتثبيت أو بالتّنازل وفق رغبة الضحيّة وحنكة الحكماء، وبنظرة خاطفة إلى قانون عرش آث علي أُوحَرْزُونْ– على سبيل المثال– فإنّ من يقتل أباه أو أخاه بنيّة الحصول على الميراث، فحكمه القتل، أمّا إذا هرب فإنّ جميع أملاكه تصادر من طرف ثاجماعث، ويعاقب سارق الثور أو البغل بغرامة قدرها *12* دورو، كما يعاقب سارق الغنم أو الماعز بغرامة قدرها *05* دورو، أما الفرد الذي يعرقل نظام ثاجماعث فإنهّ يعاقب بغرامة قدرها *25* دورو . وعندما يتخاصم شخصان (ذكورًا أو إناثًا) يدفع كلّ منهما فرنكا واحدًا، أما مسؤول القرية فإنّه يغرّم عندما يتعسّف مع أحدٍ بغرامة قدرها *02.5* دورو. ويُغرّم من ينزع الحجارة من المقبرة بدورو واحد، ومن يغيّر معالم حدود الحقول بـ *05* دورو، وإذا تخاصم شخصان أثناء الاجتماع أو أثناء إنجاز الأشغال العموميّة، يغرّم كلّ منها بغرامة قدرها *05* دورو.

أما المرأة التي تذهب إلى عين الماء (ثَلاَ) بمفردها قبل طلوع الشمس فإنّها تغرّم بـ *01* فرنك. ويعاقب المتغيّب عن الجنازة بغرامة قدرها *1/2* دورو. كما أنّه يغرّم المسافر الذي يهمل رفيقه المريض في السّفر بغرامة قدرها دورو واحد، وكذا الشّخص الذي يخاصم ضيفا نزل على أحد أفراد القرية. أما من يتسبب في اضطرابات بإطلاق عيارات نارية فإنّه يغرّم بغرامة قدرها *12* دورو. وبالنّسبة لجريمة الزنا فإن مرتكبها يغرّم بغرامة قدرها *25* دورو، مع جواز قتله بموجب قانون عرش الأربعاء ناث يراثن.

ورغم الاختلافات الملاحظة بين عرش وآخر فإنّها متّفقة في جوهرها الذي يكرّس مبدأ العقاب للحفاظ على سلامة المجتمع وتماسكه واستقراره. يتجلى ذلك بوضوح في القوانين العشرين، وفي ثلاثين مقتطفا من القوانين الأخرى التي جمعها الضّابط الفرنسي "هانوتو" *HANOTEAU* ومساعده "*Letourneux*" المهتمان بثقافة أهل منطقة القبائل بإيعاز من الدّولة الفرنسيّة في النّصف الثّاني من القرن التّاسع عشر لأهداف استعمارية.

مكانة ثقافة الصّلح

ممّا لا شكّ فيه أنّ ثقافة الصّلح أسمى من شكليّة هذه القوانين التي وضعت لتسيير الحياة اليوميّة للمجتمع، فمفهوم الصّلح بمثابة آخر دواء لداء مستعصٍ. إنّه عمل جبّار يرتكز على جهود الجماعة التي توظف –فضلا عن القانون– وقار أعضاء مجلس العقلاء ورزانتهم وحكمة أولياء الله الصّالحين، من أجل فضّ النّزاع بكيفيّة يصبح العفو ممكنا، ومعنى العفو أن صاحب الحقّ يصفح، فيسقط العقوبة عن الطرف المدان كليّة أو يلغي جزء منها، بطريقة حكيمة تقطع دابر الأحقاد والبغضاء والضّغائن، وبذلك تعود العلاقة إلى وضعها الطبيعي.

تلكم هي ثقافة الصّلح التي تبدأ بالمقابلة والحوار فالمصارحة فالإدانة، ثمّ يأتي العفو كتاج لها.

وفي الأخير يحتفل بعقد الصّلح بإعداد مأدبة غداء أو عشاء، تزيد في تمتين السّلم بين الفرقاء لأنّ "أكل الملح" معًا وسويًّا يستوجب الوفاء والإخلاص والصّدق.

وبالنّظر إلى فعالية ثقافة الصّلح التي نجحت في الحيلولة دون وصول المشاكل المستعصية إلى المحاكم الفرنسيّة، فقد إنبهر الفرنسيون بتماسك المجتمع بفضل العادات والتّقاليد المشبعة بالقيم الإسلاميّة، فسعى بعضهم إلى عقد مناظرات عدّة مع الحكماء والعقلاء وأولياء الله الصّالحين.

وفي هذا السّياق نَاظرَ محافظ ميشلي (عين الحمام) الشّيخ محند والحسين المشهور بالتّقوى والحكمة، وممّا جاء في هذه المناظرة، سؤال من المحافظ إلى الشّيخ يسأل فيه عن سرّ نجاح القبائل في حل مشاكلهم دون اللّجوء إلى المحاكم الفرنسيّة، فأجابه الشّيخ بقوله: عندما يتخاصم عاقلان فإنّني أوظّف الحكمة، أمّا إذا تخاصم إنسان عاقل مع خصم وقح، فإنّني أرضي الثاني من فضل الأول، ثم قاطعه المحافظ بنوع من التهكّم قائلا: وكيف تتصرّف أمام خصمين وقحين؟ فأجابه: أمثال هؤلاء أرسلهم إلى محاكمكم.

الخلاصـــة

إن ما يستخلص من ثقافة الصّلح أنّها تتكئ على البعد الروحي الذي يجعل الإنسان يسمو بسلوكه على المادّة، ليتناغم مع قيمة "البركة" التي تغمر المؤمن في حياته ومماته، وتجعله يتجاوز المواقف النفعية الماديّة في حركاته وسكونه لينزع إلى عالم الثواب، كل ذلك في إعتدال ووسطيّة اللذين يجعلان الدّنيا والآخرة كفّتين معتدلتين متوازنتين.

لذلك فإنّ ثقافة الصّلح في العرف القبائلي أعمق من أن تحصر في الغرامة أو الديّة أو التعويض أو أيّ شكل من أشكال العقاب. إنّها تسعى إلى اجتثاث تداعيات الخصام من حقد وضغينة وبغضاء مثلما يجتث طبيب الأسنان بقايا الضرس المنزوع. ذلك ما كان يقوم به أتقياء المجتمع وأخيارهم وفي مقدمتهم المرابطون الذين أصاب الكاتب حمدان بن عثمان خوجة في وصف دورهم حينما قال

في كتابة المرآة عنهم: [... إنّ وجود هؤلاء المرابطين في المجتمع الإفريقي نعمة، إذ بمجرد مالهم من نفوذ على هذه الشعوب يسكتون أسلحة الخصوم، ويمنعون إراقة الدّماء]. (ص57).

وإذا كان مفهوم المعاصرة يقتضي مواكبة العصر بامتلاك ناصية التكنولوجية، فإنّه لا يعني قطع الحبال مع الجوانب الإيجابية في تراثنا الذي يعد خلاصة جهود أجدادنا في الحياة.

إنّ مسيرة الشعب الصحيحة تشبه ذلك السّائق الذي يسير بسرعة نحو الأمام، لكن دون أن يفرّط في المرآة المعكاسة *Retroviseur* .

ومما لا شكّ فيه أنّنا في هذا الظّرف العصيب أحوج ما نكون إلى كنوز ثقافتنا وتراثنا مثلما يُحتاج إلى القرش الأبيض في اليوم الأسود. والعبرة في كلّ ذلك أن الأحقاد والخراب وجهان لعملة واحدة، كما أن الصلح والاستقرار صنوان لا يمكن الفصل بينهما مثلما لا يمكن الفصل بين الوردة وعطرها.

المناقشـــــــة:

السيد محمد الطاهر زرهوني:

بعد شكره للمجلس على اختياره للموضوع، وشكره للمحاضر فتح المناقشة: الآن أحيل الكلمة إلى فضيلة الأستاذ عبد الرحمان شيبان فليتفضل مشكورا.

<u>توضيح معالي الوزير السيد عبد الرحمان شيبان: رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين</u>

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد، أشكر أولا المجلس الأعلى للغة العربية على تنظيم هذه المحاضرة واختيار الموضوع واختيار السيد محمد الطاهر زرهوني منشطا لها. وأشكر المجلس ثالثا لأنه كما يقال آخر الصلاة الوتر " قل هو الله أحد"، لاختياره الأستاذ الشيخ محند ارزقي فراد ليلقي هذه المحاضرة.

كلمتي تنحصر في أن أكون شارحا للشيخ محند أرزقي فراد، نحن في ثقافتنا التقليدية فيها المصنف، وفيها الشرح، وفيها المُحَشّي، إذن الشيخ محند أرزقي فراد شيخ مصنف وأنا أشرح له، الشرح ليس في الكمية بل في المعنى وفي النوعية. أريد أن أصل ما كنا نسمعه من الجواهر من الشيخ محند ارزقي فراد، تأصله في الإسلام ببيان جذور ما كان يقوله الإسلام قرآنا وسنة، إن ثقافة الصلح التي شرحها وحللها، أصلها في القرآن الكريم وفي السنة النبوية الكريمة، أذكر الحديث الذي رواه الإمام البخاري وتعلمون مكانة البخاري في الحديث، أن أنس بن نظر له أخت تسمى الرّبيع ويا لها من ربيع ! ويا لها من امرأة لها أبناء شهداء !، كسرت ثنية امرأة فطلب أهل البنت المكسورة ثنيتها القصاص منها، فعرضت عائلة النظر: أنس بن نظر الأرش، –أي الدية– فرفضوا وأصروا على القصاص، فأراد الرسول صلى الله عليه سلم أن يطبق القصاص عليها فقال أخوها أنس بن نظر: يا رسول الله أتكسر ثنية الرّبيع، قال: ذلك كتاب الله القصاص، ولكم في القصاص حياة: " يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى: الحر بالحر والعبد بالعبد" صدق الله العظيم وقال أنس

بن نظر: والله يا رسول الله لا تكسر ثنية الرّبيع، قال الرسول كيف تقول هذا !، قال لا تكسر، وهنا نقول أيتطاول أنس بن نظر على النبي (ص) لأنه مجاهد، وأخته أم شهيد، في الحقيقة لا يتطاول على النبي صلى الله عليه وسلم، بل هو واثق ومتيقن بأن دعاءه سيستجاب، لأن الله تعالى قال "أدعوني استجب لكم"، " فإذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني"، وأنس بن نظر إذن متأكد أن الله يقبل دعاءه حين قال والله لا تكسر، إذ ما كاد أن ينتهي من التلفظ بهذه الكلمة حتى دخل أهل الفتاة على الرسول (ص) فقالوا: يا رسول الله قبلنا الأرش –أي الدية–، فقال عليه الصلاة والسلام (إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبرّه)، هذه إشارة إليهم، أي الأولياء والأتقياء الذين ذكرهم الشيخ محند أرزقي فراد، إذا أقسموا على ربي يبرّ يمينهم، وبهذا الصدد تحضرني قصة صغيرة في هذا المعنى، أعرف إماما يسمى الشيخ سي محند أوشيحة، تقي نقي تولى الإمامة في قرية تسمى البهاليل، وتقع في بلدية واحدة مع قريتنا، نحن أهل (الشرفة) القريبون من قرية البهاليل (إبهلال)، تولى الإمامة عندهم ويسمعهم حين يتوجهون بالدعاء إلى الله سبحانه تعالى لشفاء مريضهم أو طلب الرزق بالأولاد يقولون له: والله ستشفى من مرضك والله سترزق بالأولاد، عوض الدعاء له بالأسلوب العادي المتعارف عليه، فخاطبهم الإمام سي محند أوشيحة مشفقا عليهم من غضب الله: يا أهل قرية البهاليل (إبهلال) خافوا الله، إن الإنسان إذا أراد أن يطلب شيئا من الله يتخشع ويتذلل، وأنتم تقسمون على الله وتتحلّفون فيه، ويبدو أن هذا الإستهجان من الإمام مرده إلى عدم إطلاعه على الحديث الشريف: "إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره..".

أروي لكم قصة طريفة عشتها بنفسي لما كنت تلميذا صغيرا ببلدة تسمى حاليا مشدالله وتسميتها الصحيحة مشدالة أو مشذالة وهي البلدة التي تنتسب إليها عائلة المشدّالي الزاخرة بالعلماء والفقهاء في الدين وفي اللغة العربية، وكلمة مشدالة مأخوذة من أمشدال، يقال في التفسير – ولعل الشيخ أرزقي فراد فقيه ومطلع في هذا الباب– أمشدال هو نوع من النمل الخشن كناية عن دأبه وصبره وصموده في بحثه عن طعامه وفي التضامن فيما بين أقرانه، فيقال امشدال بمعنى المقاوم الصامد، وسكان هذه المنطقة يسمونهم امشدالن.

وقد كانت بلديتنا في فترة الاستعمار الفرنسي تدعى مايو، وأكرمنا الله بمشيئته بأن جعلها تحمل اسم طبيب يسمى مايو، يقال أنه هو الذي اخترع الكنين (الكينا)، ولا تحمل اسم جنرال أو حاكم من الحكام.

وصادف يوما وأنا في الطريق إلى المدرسة للتعلم شاهدت حلبة وضوضاء بين الناس تبيّن لي فيما بعد أنه عراك في الشارع بين شخصين من قبيلتين مختلفتين، أحدهما ضعيف البنية وآخر قوي مسرح حديثا من الجيش، وعندنا من آداب العراك مراعاة الكفاءة البدنية، فالكبير لا يضرب الصغير، والقوي لا يعتدي على الضعيف، أو المريض، فتدخل زعيم البلدة يدعى حاج علي أوموسى للتفريق بينهما لحسم الخلاف والعراك بين هذين المتخاصمين اللذين ينتسب أحدهما إلى الصف العلوي والآخر إلى الصف السفلي، فتلقى ضربة شديدة بدل الخصم، وهكذا أصبحت الخصومة بين شخصين من صف واحد، ولأجل فضّ هذا الخلاف حتى لا يستفحل نادت الجماعة شيخ الجامع وجماعة من أعيان البلدة في طليعتهم القايد مزيان رحمه الله وهو خريج زاوية سيدي عبد الرحمان اليلولي ووالدي بصفته رئيس بلدية الشرفة، فذهبوا جميعا إلى الحاج علي أوموسي، وهم خائفون من أن يموت من أثر الضربة فقالوا له يا حاج علي جئناك لتعفو عن المعتدي عليك، فأجابهم بقوله: أيها المرابطون إذا عشت أعفو عنه وإذا متّ فلا أسمح له، قالوا له جئناك لتعفو عنه في حالتي الحياة أو الموت، وكانت أسرة حاج علي خائفة من رفض طلب المرابطين (العفو) فيحل بها شرّ من جراء عدم العفو فقال حاج علي للوفد: أهذا الذي تريدون إني عفوت عنه سواء حييت أم متّ، بعدها طلبوا من يقوم بالدعاء فانبرى أحدهم فأقسم أن اليد التي ضربتك يا حاج علي ستقطع قبل يوم الثلاثاء المقبل، وإذا وقع بعد هذا التاريخ فالأمر لا صلة لنا به.

وقبل حلول ذلك التاريخ المحدد ركب المعني (الضارب) كما هي عادته في شاحنة لمعمر فرنسي متوجه إلى جبل جرجرة وكان الطريق له منعرجات كثيرة، فإذا به في إحدى المنعرجات يسقط من الشاحنة وتقطع عجلة يده. وهذه الحكاية ليست خرافة بل هي حقيقة، وهذه الثقافة السائدة لدى أهل هذه المنطقة يؤمن بها هؤلاء الناس– المرابطون– الأتقياء الذين يتوضؤون صباحا بماء الثلج في عز فصل

الشتاء، والقرآن الكريم حث على التسامح الذي قال بشأنه المحاضر إن كل حكم يؤخذ ويستمد من شرع سيدي خليل وغيره، والله تعالى يقول "سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين للغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين" ذكر التاريخ والمفسرون أن سيدنا عبد الله بن الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنهم أجمعين، كانت عندهم جارية، وكانت عادة كسب الجواري منتشرة، والإسلام حارب هذا الأسلوب من الحياة الغير مشرفة للإنسان بوسائل مختلفة، كانت تصب له الماء – وهو عاجز–، من إبريق، وسقط الإبريق على يده وجرح فنظر إليها نظرة شزراء، فقالت له: إن الله يقول: والكاظمين الغيظ، فقال: كظمت غيظي، يعني لا أنطق بما يسيء إليك، قالت: والعافين عن الناس، فقال: عفوت، أي اقتلعت الغضب من فؤادي، وقالت: والله يحب المحسنين، قال: اذهبي فأنت حرة لوجه الله تعالى، إذن هذه الثقافة مهيمنة على تلك المنطقة، سواء عرفوا هذه الجذور أم لم يعرفوها... عاشوها وتناقلوها جيلا عن جيل، وهذا ما نستنتجه من هذه الجولة المسائية، نسأل الله أن يعرفنا بكنوز ديننا و ثقافتنا حتى لا نتيه مع التائهين ونغتر مع الخادعين المخدوعين و السلام عليكم أجمعين.

مقدم الجلسة السيد محمد الطاهر زرهوني:

شكرا لأستاذنا على الكلمة التي تفضل بإلقائها والآن الكلمة للسيد محمد الصالح بوسلامة.

سؤال محمد الصالح بوسلامة:

باسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على نبيه الكريم

أولا نشكر المجلس الأعلى للغة العربية الذي دائما له السبق في المكرمات و الأشياء الطيبة والجميلة التي تخدم وطننا وتخدم تاريخنا و تخدم إسلامنا.

أنا لدي سؤال للأخ محند أرزقي فراد حول قضية تاجماعت فهل الذي قاله الأخ بعد شكره على المجهودات وعلى الإيمان بهذا التاريخ تاريخ جميل في الحقيقة لو أن مجتمعنا كله مشى على هذا الطريق لكنا بخير. فما نشاهده اليوم في بلاد القبائل في قضية الشيوخ وتاجماعت، هل هذه التقاليد مازالت سائرة وموجودة إلى حد الآن أم أنها انتهت؟ لأننا نشاهد بعض الأشياء معكوسة اليوم بخصوص النقطة الأولى.

قبل أن تجيبني على هذا السؤال أريد أن أعطي نقطة أخرى لأنني عشت في الثورة ثورة التحرير من بدايتها إلى نهايتها ولم تكن ثورة مواجهة استعمار بالسلاح فقط ولكنها أيضا ثورة إصلاح وسلم وتوحيد، فثورة التحرير برغم أنه ليس لدينا علماء ومثقفون ولكنها كونت مجالس أسمتها المجالس الشرعية، (اللجنة الشرعية)، أنا أذكر ثلاثة من رؤساء اللجان استشهدوا وكانوا غير مثقفين وكان لكل واحد منهم مجموعة يترأسها، ولكن أحكامه فعالة داخل الشعب الجزائري وبدرجة عالية، أنا على كل حال من جهة قالمة والحروش وعزابة وفي هذه الجهات كان المواطنون فيها لا يتوجهون إلى محاكم فرنسا نهائيا.

كل الأحكام وكل القضايا والمشاكل التي تعترض السكان كانت تحل خارج السلطة الفرنسية، فعلى كل حال هذه صورة من الصور التي قامت بها الثورة الجزائرية واضطلعت بها بالإضافة إلى مواجهتها لتنظيم الاستعمار قصد تنظيم الشعب الجزائري تنظيما محكما لإبعاده عن الإدارة الفرنسية.

<u>جواب الأستاذ محند أرزقي فراد:</u>

والله، دور ثاجمعت حاليا – من دواعي الأسف – أقول لك بدأ في الانحسار، هناك من يعمل جاهدا من أجل الحفاظ على هذه الثقافة التقليدية البناءة ، وتأثر ثاجماعت وفقدانها للريادة في المنطقة يعزى لاعتبارات موضوعية أحيانا، وغير موضوعية أحيانا أخرى، فبعدما استرجعنا السيادة والاستقلال اللذين فقدهما المجتمع نتيجة لظروف تاريخية معينة، بدأت المرجعية الدينية بقيادة المرابطين والزوايا تفقد دورها أمام تكفل مؤسسات الدولة بشؤون المواطنين، وهناك محاولة من طرف أناس آخرين لتعويض هذه المرجعية بما يسمونه مرجعية الحداثة، ولاشك أن هذه الأخيرة أمر لا مفر منه غير أنها لا تتعارض في رأيي مع ثقافة ثاجماعت، ومن دواعي الأسف أن دعاة الحداثة قد أساؤوا إلى ثقافتنا المحلية دون أن يتمكنوا من تعويضها بآلية تنظيمية تتكفل بقضايا المواطنين، وللذكر فإن المشاكل التي انفجرت في منطقة القبائل تعبر عن فقدان المجتمع لتوازنه. وفي الحقيقة فإن الكثير مازالوا يثقون في دور ثاجماعت التي صارت اليوم تصنف ضمن خانة المجتمع المدني، وعليه فليس هناك تعارض بينها وبين مؤسسات الدولة. وبالنسبة لسؤالكم عن مكانة ثاجماعت اليوم أقول لك – مع الأسف – أنها بدأت تفقد بريقها بسبب التحولات الكبرى التي تعتمل في المجتمع، غير أنها مازالت حية ترزق يسعى الكثير إلى بعث الحيوية فيها بكيفية تنسجم مع قوانين الدولة.

وشكرا للأستاذ.

<u>سؤال محمد تاملت:</u> كاتب وباحث مقيم في مدينة لندن ببريطانيا:

السلام عليكم، أشكر السيد محند أرزقي فراد على هذه المداخلة الجميلة، المشوقة والغنية بالمعلومات.

ولكن ما يعاتب عليه لأنني قرأت له بعض ما كتب وبعض ما نشر فوجدته بعيدا عن الروح النقدية عندما يتعرض للجانب الاجتماعي والتاريخي لمنطقة القبائل، ومنطقة القبائل التي أنا منها ليست كلها حسنات، ففيها كثير مما يسيء إلى ماضيها من منع توريث البنات، ومن منع للمصاهرة والنسب ممن يدعون أنهم أشراف ومن ليسوا بأشراف هذه الكلمة هي كلمة كبيرة وعامة لا يمكننا جميعا أن نجعل منها قاعدة ذلك أنه يمكن لك أن تذهب إلى الهند وتجد هناك أشرافا وسادة يدعون أنهم من أحفاد الرسول (ص) وقد يكون ذلك غير صحيح، وكذلك في مصر فهناك من يكتبون ويرسمون شجرة النسب التي تنتهي إلى رسول الله (ص) وينسبونها إلى من يدفع، وقد حدث ذلك كثيرا ولنا في ذلك أدلة، أردت أن أتكلم في موضوع واحد وهو الموضوع الذي تحدثتم فيه وهو الصلح، وأردت أن أفرق بين الصلح وبين العفو، وأعتقد أن بينهما فرقا، فالصلح بين طرفين كلاهما مخطئ، بينما العفو هو من شخص غير مخطئ على شخص قد يكون مخطئا، الذي يحدث ولا أريد أن أتحدث في السياسة ولا فيما يحدث اليوم ما دمت أنت قد تجنبت الحديث عنه، ولو كنت تحدثت عنها لتحدثت عنها أيضا، الصلح لا يجب أن يكون فيه مخطئ ومصيب، لأنه إذا حدث بهذا الشكل فإنه لا يكون صلحا وإنما سيكون عفوا، أنت تحدثت عن الغرامات ومجرد إقرار الغرامات يعني أن ذلك اعتراف بأن الطرفين مخطئان أو بأن الطرفين مصيبان أما أن يكون أحدهما مصيبا والآخر مخطئا فستتحول العملية كما قلت من صلح إلى عفو، وأعتقد أنني بينت وأرسلت إشارات قد فهمتها تنعكس على وضعنا الحالي اليوم وأبدي إعجابي بهذه المداخلة التي كانت فعلا مرتبة غنية بالمعلومات ومشوقة فعلا وشكرا.

<u>رد الأستاذ محند أرزقي فراد:</u>

شكرا على إثرائكم للموضوع وأشكر السيد رئيس المجلس الذي أعطانا هذه الفرصة ضمن منبر حوار الأفكار، فقد جاء في تعقيبكم أنني لم أكن موضوعيا في كتاباتي لا فيما قلته اليوم، فهذا الرأي أحترمه، وأترك الحكم للباحثين والنقاد والقراء للحكم له أو عليه.

أما قضية توريث البنات في منطقة القبائل فلم أتناول هذا الموضوع لحد الآن، غير أن لي اهتمامات البحث فيه وقد تحدثت عن هذا الموضوع مع أستاذي وشيخي محمد الصالح الصديق في هذا المجال، مستفسرا عن رأي الشيخ أرزقي شرفاوي – وهو من علماء المنطقة الكبار – في هذا الموضوع، وفي جميع الأحوال فإنني مازلت في مرحلة جمع المادة التاريخية للموضوع.

أما قضية المصاهرة: فقد تطرقت لها في موضوع نشر في الصحافة تحت عنوان" المرابطون الأشراف وعلاقتهم بمنطقة القبائل" وفي هذا السياق يجب علينا أن نوظف تدافع الأفكار، وأن نوظف الفكر النقدي الذي يجعلنا نختلف ولا نتخاصم، ولهذا فحوار الأفكار ومناقشة الرأي ضروريان لرقي والتقدم.

أما موضوع المرابطين والأشراف فقد تطرقت إليهم في سياق الحديث عن الصلح، وتناوله سي عمار بوليفة في كتابه "جرجرة عبر التاريخ" والذي لم يكن لا معربا ولا متعاطفا مع هؤلاء، ورغم ذلك أنصفهم.

وفي الحقيقة فإن واجب المرء وهو يتناول هذا الموضوع أن يذكر الايجابيات والسلبيات، ومما لا شك فيه أن مكانة هؤلاء السامية في المجتمع تؤكد دورهم الإيجابي عبر التاريخ بفضل تكريسهم لقيم السلم والرحمة والتسامح والصلح والتضامن في المجتمع. غير أنه من الموضوعية أن نشجع الدعوة إلى غربلة تراث هؤلاء.

أما فيما يتعلق بالعقاب وبصفة مختصرة، قلت بأن الصلح أكبر من أن يحصر في العقاب أو تغريم الناس بغرامات مالية، فقد كان لكل عرش قانون عرفي لتنظيم حياة المجتمع، ولا شك أن الصلح كان الهدف الأسمى والأعظم لهذه القوانين العرفية الصارمة، لأن عملية الصلح كانت تستنفر طاقات المجتمع من رجال دين وعقلاء وحكماء وأولياء الله الصالحين، غير أن عملية الصلح في ذاتها كانت

تستوجب تحديد المسؤوليات في أمر الخلاف ومعنى ذلك أنه لابد من معرفة الظالم والمظلوم.

وفي هذا السياق تحضرني حادثة وقعت في عرش آثفليق في النصف الأول من القرن 20، – الذي ينتمي إليه الشيخ كتو رحمه الله– وبالضبط في قرية آث عيسي بين عائلة محترمة ذات مسؤولية في الإدارة الفرنسية آنذاك، وبين مواطن بسيط وفحوى الحادثة يتمثل في خلاف حول قطعة أرض، ونحن نعلم ما للأرض من أهمية في منطقة كثيفة السكان مثل منطقة القبائل، فعقد اجتماع من أجل فض هذا النزاع حضره الأعيان والمرابطون والحكماء، منهم الحاج السعيد مجدد الشعر الصوفي في منطقة أزفون، وبعد نقاش طويل طلب من هذا الأخير أن يبدي رأيه في الموضوع فقال قولته المشهورة التي سارت بذكرها الركبان في العديد من الأماكن فحواها: "اللهم صلي على رسول الله، إن تكلمت فإني أخشى من آث مزيان، وإن سكتت فإني أخشى عقاب الله". وبهذه الإجابة المركزة والمختصرة نجح الحاج السعيد في تبليغ مغزى الرسالة حتى أصبح الأمر واضحا وضوح الشمس مفاده أن الحق لذلك المواطن البسيط. هذا وتؤكد لنا هذه الحادثة أن الصلح بمعناه العرفي يوضح ويميز صاحب الحق عن غيره، وعقب ذلك يتوج الصلح بقيمة العفو التي تعني إسقاط العقوبة بعد الإدانة وعليه فالعفو يتضمن التنازل عن الحق ويكون ذلك في جو رباني تغمره البركة والخير والأمل ومن شأن ذلك أن يزيل الأحقاد من القلوب.

مقدم الجلسة السيد محمد الطاهر زرهوني:

شكرا للأستاذ و الكلمة للدكتور مولود عويمر فليتفضل مشكورا.

الأستاذ الدكتور مولود عويمر أستاذ بجامعة الجزائر:

أشكر الأستاذ على هذه المحاضرة القيمة فقط لدي ملاحظة ومنها أحاول التطرق إلى الموضوع الذي تناوله في محاضرته.

الأستاذ التزم بقراءة وصفية لموضوع الصلح في المجتمع الجزائري و بالتحديد في منطقة القبائل أشكره على هذا الطرح، خاصة وأن هذا الصلح جاء من خلال المظاهر و الأدوات التي التزم بها أهل منطقة القبائل في عملية الصلح بين المتخاصمين في هذه المنطقة، فالالتزام بهذا المنهج الوصفي لتقديم معلومات تاريخية لمجتمع أو لجزء من مجتمع الجزائري والاكتفاء فقط بهذا الطرح أظن أنه لا تخدمنا في واقعنا الراهن وواقعنا المعاصر، ما معنى هذا الكلام، لأن السؤال إذا أردنا أن نحوله إلى إشكالية هو ليس فقط في دراسة أو وصف حالات، تقديم أو وصف مظاهر وتقديم الأدوات وإنما أيضا تدرس آليات أو ميكانزمات تطبيق هذه الأدوات في المجتمع، هل هذه القواعد التي ذكرتها، هل يمكن الالتزام بها في واقعنا المعاصر؟ نصل أو نحافظ على الصلح، أو أسئلة أخرى تطرح نفسها هل هذه الأدوات التي كانت في الماضي صالحة – إن اتفقنا عليها أنها صالحة– هل يمكن إذا أخذنا بها اليوم نصل إلى إصلاح ذات البين أو إصلاح بين الجزائريين، لأنه لا يكفي فقط وصف حالة أو التمكن من الأدوات أو امتلاكها لنصل إلى حل، يمكن أن تكون لدينا ثروات كبيرة ولكن إذا لم نستطع أن نستغل أو نوظف هذه الثروات أو هذا الموروث في موضوع الصلح، وهو موروث ثقافي، إذا لم نستطع أن نتمكن من استغلاله يصبح مجرد موروث ثقافي ولا يصلح للواقع ونحن همنا كله هو كيف نصلح حالنا في الحاصر؟ إذا كيف يمكن لنا إذا لم نكتف فقط بالوصف بدون إيجاد صيغة أو ميكانيزم لتحميل و تنزيل هذه الأدوات إلى الواقع الملموس وإلا يبقى دائما تاريخنا كالشعر أو كثقافة الشعر وليس تاريخا و حضارة لتغيير الواقع، أريد أن يشرح لنا الأستاذ الكريم كيف يمكن لنا أن نحول كل هذا التراث الذي ذكرته في منطقة القبائل أو في مناطق أخرى من الموروث الجزائري كأدوات نستعملها اليوم أو نتمسك بها اليوم ونحقق بها الصلح، والسؤال الأكبر كله، إذا لدينا كل هذا الموروث الثقافي ونحن وقعنا في هذا العنف فإذا فيه صراع هذه الجدلية بين الصلح و العنف في الجزائر، فكيف نفسر هذا و شكرا لكم.

رد الأستاذ محند أرزقي فراد:

شكرا يا دكتور على هذه الملاحظات القيمة والموضوعية والتي هي في محلها، ربما أنا قدمت إشارة خفيفة فقط، أنا لم أكتف بالمعاينة وإنما حاولت في الفقرة الأخيرة أن أوضح ذلك، حيث قلت إن ثاجماعت هي جزء من المجتمع المدني، ولعلمك فأنا عضو في ثاجماعت قريتي منذ أكثر من عشرين سنة، بهدف تحصين الشاب بثقافتنا الأصيلة القادرة على مواجهة الأمراض الإجتماعية الخطيرة المتفشية في المجتمع.

وبدأ العمل الآن لتكريس مفهوم ثاجماعت في إطار المجتمع المدني حتى لا تتناقض مع مؤسسات الدولة، والجدير بالذكر أن الدرك الوطني يشجع المواطنين على التوجه نحو ثاجماعت في المناطق الجبلية لما تؤديه من دور في رأب الصدع وإصلاح ذات البين في المجتمع وشكرا.

مقدم الجلسة السيد محمد الطاهر زرهوني:

أشكر المجلس على تنظيمه هذه المحاضرة ضمن منبر حوار الأفكار وأشكر المحاضر على المعلومات التي قدمها حول موضوع بالغ الأهمية، عظيم الأثر في حياة مجتمعنا، وأشكر المتدخلين على التوضيحات والإضافات وكل الحضور على صبرهم وحسن إصغائهم وأسعدنا الله وسدد خطانا إلى السلم والمصالحة ووفقنا إلى ما فيه الخير لمجتمعنا وبلادنا والسلام عليكم ورحمة الله تعالى و بركاته.

انتصار*

قل أي شيء صديقي لا تقف وَسَطا ... واختر مكانك صحًّا كان أو غَلَطا

قل أي شيء.....فإني لا أرى وطنا ... للمرء غير الذي في قلبه ارتبطا

إن الجزائر فردوس الدُّنا أبدا... ... فآدمُ الوحي من عليائها هبَطَا

إن الجزائر ليست لُعْبَةً وكذا... ... فأرا يلاعب من جهلائه قططا

إن الجزائر دفء الأرض تعرفُه ... حرائرُ العزّ... لا من تُنْجِبُ اللُقَطَا

من طينة الخلد صُغنا كل ملحمة ... الوجدُ والمجدُ في ساحاتها اختلطا

إن الجزائر أنتمْ، همْ وهنَّ هما ... أنا وأنتَ....ألسنا أمةَ البُسَطَا؟!

إن الجزائر من دمعي ومن دمكم ... وألفُ ألفِ شهيد بَاسِماً سقطا

الشعبُ قَالَ فهل من بعد قولته ... قولٌ يقالُ وهل ما قال كان خَطَا؟!

المجد للحبّ كونوا واحدًا وَدَعُوا ... نهج التَّفَرُّقِ..كونوا أُمَّةً وَسَطَا

كونوا يدًا وفؤادًا واحدًا وفماً ... فالله، رحمتَهُ بين الورى بسطا

ومزِّقوا الإثم والأحقادَ وانتصروا ... فالنصر آتٍ..وآتٍ نحونا بخطى

إن الجزائر يا أحبابُ ما انكسرتْ ... لكنها انتصرتْ والعِقْدُ ما انفرَطَا

* مقتطفات من قصيدة للشاعر عز الدين ميهوبي ألقاها في إحدى نشاطات المجلس.

المجلس الأعلى للغة العربية

شارع فرانكلين روزفلت – الجزائر – ص.ب 575 ديدوش مراد.

الهاتف : 021.23.07.24, 25 الفاكس : 021.23.07.16